

BALAGH
Journal of Islamic and Humanities Studies
Vol 1 / No 2 – August 1443 / 2021
ISSN: 2791-6561
Received: 27.06.2021 | Accepted: 18.07.2021 | DOI: 10.5281/zenodo.5556872



شبهات العقلانيين حول بعض روايات الصحيحين عرض ونقد

صفاء مصطفي علي أبو العلا*

حسام موسى محمد شوشه**

الملخص

لم تسلم السنة النبوية على طول زمانها من المغرضين والمتربصين بها الذين يريدون الانقضاض عليها ليضربوا الأمة في أحد ثوابتها، وعوامل بقائها ألا وهي السنة النبوية. ولقد اتفقت الأمة على أن الصحيحين البخاري ومسلم هما أصح كتابين بعد كتاب الله تعالى، واستقبلتهما الأمة بالتسليم، لكن ما لبث أعداء السنة إلا أن تعرضوا للصحيحين بالنقد والافتراء، فادعوا كذبا اشتمال الصحيحين على أحاديث تخالف العقل، وسأرد عليه من خلال نماذج مختارة، بإيراد الحديث موطن الشبهة، ثم الافتراء والانتقاد الموجه إلى الرواية ومن صاحبه، ثم الرد على هذه الشبهة بما يسر الله لي من أقوال أهل العلم، وما يفتح الله لي به من الفهم.

وسوف ينتظم البحث في مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث، ثم أهم النتائج التي توصل إليها البحث متلوة بأهم المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: الصحيحان- البخاري- مسلم- شبهة- السنة النبوية

Abstract

Throughout its time, the Prophetic Sunnah has not been spared from malicious and stalkers who want to pounce on it to strike the nation in one of its constants, and the factors for its survival, which is the Prophetic Sunnah. And the nation agreed that the two Sahih of Al-Bukhari and Muslim are the most authentic two books after the Book of God Almighty, and the nation welcomed them with submission, but the enemies of the Sunnah were only exposed to the two Sahih with criticism and slander, so they claimed falsely that the two Sahih contain hadiths that contradict the mind, and I will respond to it through selected models, by including the hadith The location of the suspicion, then the slander and criticism directed at the narration and its author, then the response to this suspicion with what God has made easy for me from the sayings of the people of knowledge, and what God opens up for me from understanding.

The research will be organized into an introduction, preface and three chapters, then the most important findings of the research, followed by the most important sources and references.

Keywords: AL-SAHEHAN- Al-Bukhari - Muslim - Suspicion – Sunnah

---

*PhD Researcher, College of Fundamentals of Religion, Sultan Abdul Halim Mu'adzam Shah International Islamic University, Malaysia / safaamostafa652@gmail.com
باحثة دكتوراه بكلية أصول الدين جامعة السلطان عبد الحليم معظم شاه الإسلامية العالمية- ماليزيا

**Assistant Prof. Dr., University of Karabük, Faculty of Islamic Sciences, Turkey/ Hossamshousha@karabuk.edu.tr /orcid.org/0000-0002-4511-8251
أستاذ مساعد بكلية العلوم الإسلامية بجامعة كارابوك بتركيا

المقدمة

الحمد لله رب العالمين أنزل القرآن على نبيه وآتاه السنة ليبين للناس ما نُزِّل إليهم ولعلهم يتفكرون. و وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد.

زعمُ بعض المعاصرين، ومنهم من يطلقون على أنفسهم "العقلانيين"، أن ثمة خصومة كبيرة بين التدين القائم على منظومة الأحاديث النبوية فقهاً وتفسيراً واعتقاداً، وذلك التدين القائم على العقل! وهم يدلّلون على مذهبهم بروايات قد يُختلف في صحتها أو في تأويلها اختلافاً كبيراً.

ويأتي الإمامان البخاري ومسلم وأحاديثهما في صدارة خصوم هذا التيار، لمكانتهما العلمية وشهرتهما التاريخية؛ فيتربصون بكتابهما ورواياتهما، ويزعمون معارضتها للعقل وأحكامه، ويتهمون المُصنِّفَين كأنهما مسؤولان عن اختراع نصوص الأحاديث التي ضمَّناها كتابهما؛ ولا ينظرون إليهما باعتبارهما ناقلين أمينين وباحثين دقيقين. وهم يفعلون ذلك للخروج بنتيجة أن الأحاديث النبوية تخالف العقل الإنساني.

وتمثل هذه الدراسة محاولة لاختبار أبرز ادعاءات هذا التيار، وتفنيد مزاعمه على طاولة البحث الموضوعي العلمي القائم على أسس موضوعية، وذلك بتتبع الأحاديث المنتقدة في الصحيحين بدعوى مخالفة العقل وجمعها وتفنيد الشبهات المثارة حولها بالحجة والبرهان.

أهمية البحث:

تظهر أهمية الدراسة من خلال موضوع البحث الذي يتناول نقد العقلانيين للسنة ويأتي الإمامان البخاري ومسلم وأحاديثهما في صدارة خصوم هذا التيار، لمكانتهما العلمية وشهرتهما التاريخية؛ فيتربصون بكتابهما ورواياتهما، ويزعمون معارضتها للعقل وأحكامه، ويتهمون المُصنِّفَين كأنهما مسؤولان عن اختراع نصوص الأحاديث التي ضمَّناها كتابهما؛ ولا ينظرون إليهما باعتبارهما ناقلين أمينين وباحثين دقيقين. وهم يفعلون ذلك للخروج بنتيجة أن الأحاديث النبوية تخالف العقل الإنساني.

أهداف البحث: يهدف البحث من خلال مباحثه إلى الأهداف التالية:

1- معرفة القيمة الحديثية والشرعية للصحيحين ومنهج الإمامين في تصنيفهما.

2- رصد وتفنيد حجج المشككين والمستشرقين ورد سهامهم إلى صدورهم. وقد وجدتها مفرقة غير مجموعة فجمعتها في بحث واحد.

3- إبراز وإظهار الغاية الخبيثة جراء هذا الهجوم المسعور على الصحيحين.

4- بيان أن دفاعنا عن البخاري ومسلم وصحيحيهما ليس بدافع ذاتي يغلب عليه الهوى إنما هو تفنيد لمزاعم المشككين والمهاجمين على طاولة البحث الموضوعي وذلك بتتبع منهج الإمامين البخاري من خلال تطبيقاته في الجرح والتعديل وفي الحكم على المتون وإظهار كيف أن الصحيحين قاما على منهج صحيح دقيق قام عليه الفكر الحديثي عند الإمامين.

مشكلة البحث:

لقد كثر الطعن في السنة المطهرة، لا سيما فيما رواه الإمامان البخاري ومسلم، لكنَّ هذا الطعن لم يكن طعنا مباشرا، ولم يقصد به البخاري ومسلم تحديدا، وإنما قصد منه إنكار السنة عامة، وهو ما التبس فهمه وإدراكه عند عامة الناس دون آحادهم وذلك عن طريق الأقوال الكاذبة والشبهات الباطلة الواهية بحجة مخالفة العقل مثلا.

ويحاول البحث معالجة هذه المشكلة في إطار من المنهجية العلمية المعتمدة على الدليل والبرهان.

حدود البحث

الصحيحان للإمامين البخاري ومسلم

الدراسات السابقة:

توجد عدة دراسات سابقة منها:

1- "أبرز الطعون المعاصرة في الجامع الصحيح للبخاري" دكتور عبد الرحمن عبد العزيز العقل-الأستاذ المساعد بجامعة القصيم-إصدارات مركز النحب العلمية. وهو بحث صغير لا يتجاوز خمسا وأربعين صفحة حاول فيه مؤلفه الرد على أبرز الشبهات والطعون حول صحيح البخاري فذكر شبها وطعونا وناقشها أما ما يتعلق بشبهة مخالفة العقل فلم يذكرها إلا سريعا دون الوقوف عندها

وتفنيدها. وهذا ما سأحاول علاجه في بحثي من حيث استقراء الأحاديث المنتقدة بدعوى مخالفة العقل والتي نيَّفت على الستين.

2- "الأحاديث المنتقدة في الصحيحين"-تأليف أبو سفيان مصطفي باجو-دار الضياء-طنطا-الطبعة الأولى-2005.وهو مصنف ضخم في بابه وقف مؤلفه على الأحاديث المنتقدة في الصحيحين من الحفَّاظ المتقدمين والمتأخرين بدعوى أن هناك أسانيد ومتونا خالف شرطهما فيها ولم يوافقوهم على صحتها ورأوا أنها أنزل مرتبة مما اشترطاه وأقل منزلة مما التزماه. وعلى هذا فالكتاب تناول الانتقاد الموجه للصحيحين من حيث الإعلال في السند أو المتن ولم يتناول شبهة مخالفة العقل بالذكر أو الشرح وهذا هو ما سيضطلع به بحثي هذا إن شاء الله.

3- "من افتراءات المستشرقين على صحيح البخاري" للدكتورة عزية علي طه، وهو مقال منشور في مجلة الوعي الإسلامي العدد رقم 282 لسنة1988م، تناولت فيه صاحبته أهمية صحيح الجامع ومنهج مصنفه الدقيق وأهم ما أثير قديما وبعض ما يثار حديثا حول صحيح الجامع وصاحبه كعدم اهتما البخاري بالمتن وكذلك الإسناد وذكرت شبهة مخالفة العقل لكنها تناولتها سريعا ولم تقف عندها طويلا مكتفية بتكذيب الشبهة وعدم حجيتها. لكنني سأقف في بحثي طويلا أمام تلك الشبهة أنقدها تارة وأنقضها تارة أخرى.

منهج الدراسة: اعتمدت في بحثي على المنهج الاستقرائي التحليلي النقدي.

خطة البحث: ارتكز البحث على مقدمة وتمهيد ومباحث أربعة وخاتمة ثم النتائج متلوة بأهم المصادر والمراجع التي اعتمد البحث علهاكما سوف يتضح بداخله.

المبحث الأول: شبهة سحر النبي صلى الله عليه وسلم

1- الحديث عند البخاري

حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ مُوسَى أَخْبَرَنَا عِيسَى عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ - رضى الله عنها - قَالَتْ سُحِرَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم -. وَقَالَ اللَّيْثُ كَتَبَ إِلَىَّ هِشَامٌ أَنَّهُ سَمِعَهُ وَوَعَاهُ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سُحِرَ النَّبِىُّ - صلى الله عليه وسلم - حَتَّى كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ، حَتَّى كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ دَعَا وَدَعَا، ثُمَّ قَالَ «أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِى فِيمَا فِيهِ شِفَائِى أَتَانِى رَجُلاَنِ، فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ

رَأْسِى وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَىَّ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا لِلآخَرِ مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ. قَالَ وَمَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ فِي مَاذَا قَالَ فِي مُشُطٍ وَمُشَاقَةٍ وَجُفِّ طَلْعَةٍ ذَكَرٍ. قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ». فَخَرَجَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ رَجَعَ فَقَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ رَجَعَ «نَخْلُهَا كَأَنَّهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». فَقُلْتُ اسْتَخْرَجْتَهُ فَقَالَ «لاَ أَمَّا أَنَا فَقَدْ شَفَانِى اللَّهُ، وَخَشِيتُ أَنْ يُثِيرَ ذَلِكَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا، ثُمَّ دُفِنَتِ الْبِئْرُ "[1]

2- الحديث عند مسلم

حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ حَدَّثَنَا ابْنُ نُمَيْرٍ عَنْ هِشَامٍ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ سَحَرَ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَهُودِيٌّ مِنْ يَهُودِ بَنِى زُرَيْقٍ يُقَالُ لَهُ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ - قَالَتْ - حَتَّى كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّىْءَ وَمَا يَفْعَلُهُ حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ يَوْمٍ أَوْ ذَاتَ لَيْلَةٍ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ دَعَا ثُمَّ دَعَا ثُمَّ قَالَ « يَا عَائِشَةُ أَشَعَرْتِ أَنَّ اللَّهَ أَفْتَانِى فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ جَاءَنِى رَجُلاَنِ فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِى وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَىَّ. فَقَالَ الَّذِى عِنْدَ رأسي للذي عِنْدَ رجلي أَوِ الَّذِى عِنْدَ رِجْلَىَّ لِلَّذِى عِنْدَ رَأْسِى مَا وَجَعُ الرَّجُلِ قَالَ مَطْبُوبٌ. قَالَ مَنْ طَبَّهُ قَالَ لَبِيدُ بْنُ الأَعْصَمِ. قَالَ فِي أَىِّ شَىْءٍ قَالَ فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ. قَالَ وَجُبِّ طَلْعَةِ ذَكَرٍ. قَالَ فَأَيْنَ هُوَ قَالَ فِي بِئْرِ ذِى أَرْوَانَ».

قَالَتْ فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- فِي أُنَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ثُمَّ قَالَ «يَا عَائِشَةُ وَاللَّهِ لَكَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ وَلَكَأَنَّ نَخْلَهَا رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ». قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلاَ أَحْرَقْتَهُ قَالَ «لاَ أَمَّا أَنَا فَقَدْ عافاني اللَّهُ وَكَرِهْتُ أَنْ أُثِيرَ عَلَى النَّاسِ شَرًّا فَأَمَرْتُ بِهَا فَدُفِنَتْ»[2]

أولا الشبهة الواردة في الحديث

إن الروايتين المذكورتين ثابتتان، وقد تلقاهما أهل العلم بالقبول، لكنَّ الحداثيين وأصحاب المدرسة العقلية يردون هاتين الروايتين بزعم المخالفة للعقل، فالرواية تنفي العصمة عن النبي صلى

[1] كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده، رقم الحديث 3095، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، 1407 – 1987،تحقيق : د. مصطفي ديب البغا،1193/3.

[2] كتاب السلام، باب السحر رقم الحديث 5832، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي،1719/4.

الله عليه وسلم من ناحية، ولو فرض صحة الرواية فلن يؤخذ بها لأن الحديث من أحاديث الآحاد التي لا يؤخذ بها باب العقائد، وعصمة النبي من تأثير السحر في عقله من العقائد".

ومن الذين وقفوا موقفا عقليا رافضا لهذه الرواية "ابن قرناس" بدعوى مخالفة العقل – على حد زعمه- طاعنا في صحة ما ورد في الروايات من أن النبي صلى الله عليه وسلم قد سُحِرَ، ويعلن ذلك صراحة في كتابه "الحديث والقرآن" مبينا موقفه فيقول بعدما ذكر الروايات المختلفة للحديث:" لن نناقش ماهية السحر هنا؛ لأنه يحتاج لإطالة، ولكننا-فقط- سنتطرق لثلاث نقاط من النقاط التي تعرَّض لها هذا الحديث؛ لندلل على أنه كذب ولم يحدث"[3]

ثم يبدأ في عرض النقاط الثلاث التي هي في نظره مآخذ تقوده إلى القول بكذب الحديث وعدم ثبوته في حق النبي صلى الله عليه وسلم عقلا، فيقول:

النقطة الأولى

إن الرسول كان" يخيل إليه، أنه كان يفعل الشيء وما فعله" وفي يوم من الأيام، وكان عند أم المؤمنين عائشة، أخبرها أنه أتاه رجلان، ولم يقل "ملكان"، وأخبراه بأنه مسحور ومكان السحر. ولو صدقنا الحديث بأن الرسول كان يتخيل أنه فعل الشيء ولم يفعله، فقد يكون الرسول تخيل أنه جاءه رجلان ولم يأتياه، والدليل أنه كان عند أم المؤمنين عائشة، ولم تر أحدا دخل عليه.

النقطة الثانية

وهي عند أبي قرناس "أن الرسول صلى الله عليه وسلم عرف مكان السحر: "قلت يا رسول الله أفلا استخرجته؟ قال: قد عافاني الله، فكرهت أن أثير على الناس فيه شرا".

ثم يعلق ابن قرناس أنه كان يجب إخراج السحر وإحراقه –حال وجوده- فيقول:

" والذين يعتقدون بالسحر يقولون إنه يجب أن يعثر عليه، وأن يحرق، أو يتلف لا يفكه عن المسحور"[4]

وعلى هذا، يبدأ الطعن في الحديث متهما الراوي بالتقول والكذب واعتماده في روايته للحادثة على التخيلات، فيقول: " ويبدو أن قاص الحديث يريدنا أن نعتقد أن الرسول كان فعلا يتخيل أنه يفعل

[3] ابن قرناس، **الحديث والقرآن**، منشورات الجمل، بغداد، 2008، ص342.
[4] ابن قرناس، الحديث والقرآن، ص343

أشياء ولا يفعلها، وأنه تخيل أنه مسحور ، وأن سحره في تلك البئر ، وأنه تخيل أنه ذهب إلى هناك مع بعض أصحابه... ولكنه لم يفعل، وكل ما تحدث به كان تخيلات فقط"[5]

النقطة الثالثة

ثم يورد النقطة الثالثة من مجموع النقاط التي انطلق منها لردِّ روايتي الحديث، بل وتكذيبه، وقد جاء بها على هيئة أسئلة وتساؤلات:

1. كيف يعرف الرسول الساحر ولا يعاقبه، أو حتى يسأله، ويخضعه للمحاكمة؟

2. كيف أن الرسول –صلى الله عليه وسلم – خالف قاعدة من يؤمن بالسحر، ولم يفك السحر، ومع ذلك شُفِيَ؟

3. وفيما يخص الرجلين اللذيْن أتيا الرسول صلى الله عليه وسلم سواء أكانا من الملائكة أو من البشر، فلديهما القدرة على إتلاف السحر؛ لأنهما استطاعا التعرف على مكانه، ومعرفة اسم فاعله – الساحر- فلماذا لم يتلفاه، ولماذا لم نتعرف على اسميهما؟ [6]

لا شك أن هذا الكلام الخاطئ في فهم الحديث أدى في النهاية إلى نتيجة حتمية خاطئة لدى أبي قرناس مؤداها" أن تخيل حدوث شيء لم يحدث حصل لمختلق الحديث، وليس لرسول الله صلى الله عليه وسلم وعندما قصَّ خياله – يعني حديثه- وجد من أكثر منه جنونا لدرجة أنه صدَّقه، وقام كتبة الحديث بنقله لنا على أنه فضيلة من الفضائل، وألزمنا رجال الدين به على أنه شرع لله. فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم"[7]

ثانيا: الرد على الشبهة

في الحقيقة أن هذه الشبهة حديثة قديمة، أو قديمة حديثة، فقديما زعم أبو بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص أن الحديث من وضع الملحدين، فقال:" زعموا أن النبي صلى الله عليه وسلم سُحِرَ،

---

[5] السابق.
[6] السابق بتصرف يسير.
[7] السابق ص 343- 344

وأن السحر عمل فيه، حتى قال فيه: إنه يتخيل لي أني أقول الشيء وأفعله ولم أَقُلْهُ ولم أفعلْه... ومثل هذه الأخبار من وضع الملحدين.[8]

بل إن الجصاص يذهب إلى ما هو أبعد من ذلك حين يجعل القول بسحر النبي صلى الله عليه وسلم موافقا لقول المشركين:" وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا"[9]

إن هذه الشبهة -رغم ما تبدو عليه من القوة- لكنها في حقيقتها وأصلها أوهى من بيت العنكبوت، وأصحابها إن يظنون إلا ظنا وما هم بمستيقنين.

والرد على شبهتهم يأتي من القرآن الكريم كالشمس في رائعة النهار؛ حيث يذكر خالد بن عبد الرحمن الطحاينة في بحث له صحة الرواية ووقوع الحادثة غير متعجب من ذلك مدللا بقوله تعالى: " قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى (65) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى (66) فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (67) قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)" [10]

فالآيات فيها جواب كافٍ لمن ألقى السمع وهو شهيد، جواب يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار حيث إنها بينت أن موسى عليه السلام قد وقع تحت تأثير السحر، فسحروا عينه حتى خيلت له أمور لم تكن في الواقع "يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى" وقد تأثر بالسحر إنه أوجس في نفسيه خيفة[11]

ولعل هذا السر في سرعة استجابة الوحي لموسى _عليه السلام_ حيث قال الله جلَّ وعلا:" " قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى (68) وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى (69)"[12]

---

[8] الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ ص60.

[9] الفرقان 25.

[10] طه 65-69

[11] الطحاينة خالد بن عبد الرحمن، روايات منتقدة في الصحيحين بدعوى مخلفة العقل ـ عرض ونقد، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من.15.14 /7/2010م بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

[12] طه الأيتان 68_69.

وهذا دليل واضح على أن النبي موسى –عليه السلا- قد تلقى الوحي وهو واقع تحت تأثر السحر، وعلى الرغم من ذلك فهم وعقل ما جاء به الوحي ونفَّذ ما أمره الله تعالى به.[13]

إن ما وقع لموسى عليه السلام من السحر لم يكن مانعا له من تلقي وحي الله إليه مما يعني أن السحر للأنبياء لا ينافي العصمة لهم. غير أن الملاحظ في هذا الأمر أن أصحاب الشبهات لم يأتوا بقاعدة صحيحة أو برهان مبين على عدم صحة الخبر، ولم يأتوا بكلام علمي على عدم جواز وقوع السحر على النبي صلى الله عليه وسلم أو على أن المسحور لا يعقل ما يقال له.[14]

أما ما يخص الأسئلة التي طرحها في شبهته ومنها كيف أتى الرجلان إلى بيت عائشة ولم ترهما؟

والمعلوم أن للحديث روايات أخرى تشير إلى أنهما ملكان وليسا رجلين، وهناك رواية عند النسائي بأنه جبريل، ومعنى هذا أن الملكين قد تمثلا في صورة رجلين، وهو الأغلب عند نزول الملائكة إلى الأرض فقد يراها المؤمن كما حدث ورأى الصحابة جبريل حين جاء يسأل النبي صلى الله عليه وسلم عن الإسلام والإيمان والإحسان ثم بعد أن أجابه النبي وانصرف قال النبي صلى الله عليه وسلم: هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم".

وقد يراها بعض المؤمنين دون البعض، وقد لا يرونهم. ولعل هذا ما حدث مع أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها وما كان من أمر الرجلين.

ورؤيتهما كانت من قبل النبي صلى الله عليه وسلم دون عائشة لخصوصية بما أرسلا به ومن أجله، فهو صلى الله عليه وسلم من وقع عليه السحر لذلك كانت رؤيته لهما متحققة دون غيره.

وما دام ملكين فلا يمكن الكشف عن اسميهما لأن أسماء الملائكة ليست معلومة جميعها، كما لا يمكن معاقبتهما كما أراد ابن قرناس.

ثم إنه من الواضح أن لفظ ‘‘يخيل" إنما هو لعائشة رضي الله عنها فلم يرو في الصحيحين إلا من طريقها، وأن هذا التخيل لم يدم طويلا، وما قالته هي إنما كان على سبيل المبالغة. ولربما سألها

---

13 الطحاينة روايات منتقدة في الصحيحين بدعوى مخالفة العقل، عرض ونقد. بتصرف يسير.

14 السابق.

النبي ذات يوم عن شيء شك فيه هل فعله أم لا، فعممت عائشة رضي الله عنها ذلك أنه يخيل إليه أنه يفعل الشيء وهو لم يفعله.

والشيء المقصود هنا أنما هو أمر إتيان نسائه صلى الله عليه وسلم ومعلوميته مؤكدة عند عائشة رضي الله عنها إذ هي إحداهن، وأما لفظ النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث فمقصور على المرض حيث قال الملكان:" ما وجع الرجل"؟ وقوله صلى الله عليه وسلم :"قد عافاني الله" وفي رواية أخرى "وشفاني" فلا يخفي ما في الحديث من لفظي التصريح "الوجع والمعافاة". يقول صاحب كتاب "حديث السحر في الميزان:" ويؤيد جميع ما قررناه أنه لم ينقل عنه في خبر ولو نقلا ضعيفا أنه قال قولين فكان الأمر بخلاف ما أخبر به من أمور الدنيا أحرى من أمور الشرع ، وما حصل له من المرض بسبب سحر اليهودي لو لم يعين موضع السحر به لتوهم أنه كغيره من البشر إذا أصيب بالسحر ، لكنه أخبر بموضع السحر فأخرج منه، ووُجِد على الوصف الذي ذكره عليه الصلاة والسلام ، وهكذا حال من أكرمه الله واصطفاه بالرسالة. وقد قالت أخت اليهودي الذي سحره: إن يكن نبيا فسيخبر. فقد وقع في مرسل عبد الرحمن بن كعب عند ابن سعد، فقالت أخت لبيد بن الأعصم: إن يكن نبيا فسيخبر، وإلا فسيذهله هذا السحر حتى يذهب عقله"...فالحاصل أن التخييل على فرض حصوله وقت في أمر دنيوي لم يستمر، بل زال، وأبطل الله كيد الساحر، ولم ينله ضرر منه إلا ما كان يناله من ضرر سائر الأمراض"[15]

وبالنظر إلى ما تقدم فإن الحديث لا ينافي العقل ولا النقل، ولعلنا الآن نستطيع أن نتوجه بالسؤال إلى أبي قرناس علَّه يفقه حديثا: هل ترتب على سحر النبي صلى الله عليه وسلم ضرر بالناس أو بالرسالة أو بالوحي؟

إن نفي السحر عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس انتصارا للعقل ولا تنزيها للوحي؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم بشر بنص القرآن الكريم غير أنه يوحى إليه قال تعالى:" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" [16] فإصابته بالسحر لا يتنافى مع كونه نبيا ورسولا ما دام لم يؤثر في تبليغه رسالة ربه كاملة ليست ناقصة.

---

[15] سعد المرصفي، حديث السحر في الميزان، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان 1416هـ/1995م. ص42.

[16] الكهف 110

ولقد أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الإيذاء والمرض ما أصاب غيره من البشر فجرح يوم أحد وكسرت رباعيته وأوذي يوم الطائف، وضُيِّق عليه في مكة حتى اضطر إلى الخروج منها، لكن لم يمنعه ذلك كله من تبليغ مراد ربه من خلقه، ثم إن الدليل ابتداء قام على صدقه صلى الله عليه وسلم مؤيدا بالمعجزات الشاهدات بتصديقه.

وقد أورد ابن القيم في زاده ما معناه وأقول به:

"قد أنكر هذا طائفة من الناس وقالوا لا يجوز هذا عليه وظنوه نقصا وعيبا وليس الأمر كما زعموا بل هو ما كان يعتريه صلى الله عليه وسلم من السقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض وإصابته به كإصابته بالسُّمِّ لا فرقَ بينهما. كإصابته بالسُّمِّ لا فرقَ بينهما. وقد ثبت في "الصحيحين" عن عائشة رضى الله عنها، أنها قالت: "سُحِرَ رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى إنْ كان لَيُخَيَّلُ إليه أنه يأتي نِساءه، ولم يَأتِهِنَّ"، وذلك أشدُّ ما يكون مِن السِّحر.

ويورد ابن القيم قول القاضي عياض فيقول:

"قال القاضي عِيَاض: والسِّحر مرضٌ من الأمراض، وعارضٌ من العلل يجوز عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنواع الأمراض ممَّا لا يُنكَرُ، ولا يَقدَحُ في نُبوته، وأمَّا كونُه يُخيَّل إليه أنه فعل الشيء ولم يفعله، فليس في هذا ما يدخل عليه داخلةً في شيء من صدقه، لقيام الدليل والإجماعِ على عصمته من هذا، وإنَّما هذا فيما يجوز طُرُوُّه عليه في أمر دنياه التي لم يُبعث لسببها، ولا فُضِّل مِن أجلها، وهو فيها عُرضةٌ للآفات كسائر البَشَر، فغيرُ بعيد أنه يُخيَّلَ إليه من أُمورها ما لا حقيقةَ له، ثم ينجلي عنه كما كان".[17]

إن السحر مرض كسائر الأمراض لا تسلط فيه على عقل النبي صلى الله عليه وسلم ، وكما يقول الشنقيطي في زاد المسلم: ‘‘فلا يجر خللا لمنصب النبوة ؛ لأن المرض الذي لا نقص فيه في الدنيا يقع للأنبياء ، ويزيد في درجاتهم في الآخرة –عليهم الصلاة والسلام- وحينئذ فإذا خيل له بسبب مرض السحر أنه يفعل شيئا من أمور الدنيا وهو لم يفعله ثم زال ذلك عنه بالكلية بسبب إطلاع الله تعالى له على مكان السحر وإخراجه إياه من محله ودفنه فلا نقص يلحق بالرسالة في هذا كله ؛ لأنه

[17] ابن القيم الجوزية، محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م 124/4.

مرض كسائر الأمراض لا تسلط له مع عقله ، بل خاص بظاهر جسده كبصره ، حيث صار يخيل إليه تارة فعل الشيء من ملامسة بعض أزواجه وهو لم يفعل ، وهذا في زمن المرض لا يضر"[18]

وأما ما يتعلق بشبهة أن الحديث برواياته تتصادم مع القرآن في موافقتها قول المشركين "إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا"[19] فالحقيقة أن هذه الشبهة يمكن دحضها وردها إذا ما نظرنا إلى المعنى اللغوي المقصود هنا بكلمة "مسحورا" وهي تعني اتهام النبي صلى الله عليه وسلم بالجنون، ثم تزداد هذه الشبهة وهنا على وهن، وضعفا على ضعف حين نعلم أن الآية نزلت قبل سحر لبيد بن الأعصم للنبي صلى الله عليه وسلم. وعلى هذا بنى الشنقيطي رده على أصحاب هذه الشبهة بقوله:" هذا الحديث الصحيح الذي هو في أعلى درجات الصحيح السبع لاتفاق الشيخين عليه وغيرهما غير مصادم لنص القرآن الذي هو قوله تعالى إخبارا عن قول الكفرة "إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا"؛ لأن المراد به عندهم أنه مجنون، فهو كقولهم إن هو إلا رجل مجنون، وحاشاه - عليه الصلاة والسلام-.

ثم إن الناظر في القرآن الكريم يجد مثل هذا الاتهام قد رمي به أنبياء آخرون، قالها فرعون لموسى عليه السلام في قوله تعالى:" وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَاسْأَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءهُمْ فَقَالَ لَهُ فِرْعَونُ إِنِّي لأَظُنُّكَ يَا مُوسَى مَسْحُورًا"[20]ورمى بها قوم ثمود صالحا –عليه السلام- حين قالوا له:" قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ" ورمى بها أصحاب الأيكة شعيبا فقالوا له:" قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ"[21]

وإن قدَّر ضعيف العقيدة أن ظاهر قوله تعالى "إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا" يصادم هذا الحديث فقولهم هذا الذي ذكر الله عنهم في القرآن الكريم كان قبل قصة سحر اليهودي للنبي صلى الله عليه وسلم الذي مرض بسببه وبه تعلم أنه لا منافاة بين الآية المذكورة وبين سحر اليهودي له عليه الصلاة والسلام.[22]

[18] الشنقيطي، محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، تحقيق محمد السيد عثمان دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون. بيروت، لبنان.319/3.

[19] الفرقان :8

[20] الإسراء 101.

[21] الشعراء 153، 185.

[22] الشنقيطي، محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد، زاد المسلم **فيما اتفق عليه البخاري ومسلم**،320/3.

وهل كل كلام قاله المشركون ونقله القرآن يجب أن نكذِّبه؟ لا لشيء إلا لأنه صادر عن قوم كفار، وإذا كان القول كذلك فما الرأي في قوله تعالى في سورة الفرقان:" وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الأَسْوَاقِ ..."[23] وهذا الوصف بأكل الطعام والمشي في الأسواق متحقق في النبي صلى الله عليه وسلم بوصفه بشرا، وطبيعته البشرية تتحمل هذا، فهل نكذب هذا لمجرد أن القائلين هم الكافرون، ونتجاهل هذه الحقيقة؟!

ثم إن الكذب لم يكن الحال الدائمة لدى المشركين، فقد نقل عنهم القرآن أقوال صدق وإن خالفوها من الناحية العملية، ولا سيما في امر التوحيد فيثبت القرآن إجابتهم الصحيحة عن سؤال التوحيد فيقول:

"وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ"[24]

ويقول:" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ"[25].

ويقول:" وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ"[26] فهل نكذب كل هذه الأقوال؟!

إن معنى قول المشركين " إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُورًا" أنهم يدفعون بهذا الكلام رسالة النبي صلى الله عليه وسلم في محاولة لإبطالها بزعم أن السحر يقدح في رسالته صلى الله عليه وسلم.

والقصد أن الكفار بقولهم هذا لم يريدوا إثبات ما ورد في هذا الحديث، إنما الغرض هو التشكيك في النبي صلى الله عليه وسلم ورسالته وكتابه، وإن القول بسحر النبي صلى الله عليه وسلم الوارد في الحديث برواياته ليس من باب موافقة قول الكافرين فالمعنيان مختلفان.

وثمة دليل آخر يتجلى حين نسأل عن مدة سحر النبي صلى الله عليه وسلم والإجابة نجدها عند الحافظ في فتح الباري نقلا عن الواقدي :" وقد بين الواقدي السنة التي وقع فيها السحر أخرجه عنه بن سعد بسند له إلى عمر بن الحكم مرسل قال لما رجع رسول الله صلى الله عليه و سلم من

[23] الفرقان :7.
[24] العنكبوت :61
[25] العنكبوت:63
[26] الزحرف :87

الحديبية في ذي الحجة ودخل المحرم من سنة سبع جاءت رؤساء اليهود إلى لبيد بن الأعصم وكان حليفا في بني زريق وكان ساحرا فقالوا له يا أبا الأعصم أنت أسحرنا وقد سحرنا محمدا فلم نصنع شيئا ونحن نجعل لك جعلا على أن تسحره لنا سحرا ينكؤه فجعلوا له ثلاثة دنانير ووقع في رواية أبي ضمرة عند الإسماعيلي فأقام أربعين ليلة وفي رواية وهيب عن هشام عند أحمد ستة أشهر ويمكن الجمع بأن تكون الستة أشهر من ابتداء تغير مزاجه والأربعين يوما من استحكامه وقال السهيلي لم أقف في شيء من الأحاديث المشهورة على قدر المدة التي مكث النبي صلى الله عليه و سلم فيها في السحر حتى ظفرت به في جامع معمر عن الزهري أنه لبث ستة أشهر كذا قال وقد وجدناه موصولا بإسناد الصحيح فهو المعتمد"[27]

ويجمع الشنقيطي بين المدتين وهما الستة أشهر والأربعون يوما بأن النبي صلى الله عليه وسلم قد بدا يتغير مِزاجُه خلال الستة أشهر ، وأما تمكن السحر منه صلى الله عليه وسلم فكان خلال الأربعين يوما ، وهذا لم يطل به صلى الله عليه وسلم ولو حدث ، ذلك لتواترت الأخبار به. يقول الشنقيطي : " والجمع بأن تكون الستة أشهر ابتداء تغير مزاجه عليه الصلاة والسلام ، والأربعون يوما من استحكامه هو المتعين ؛ لأنه لم يشتهر أن مرضه هذا عليه أتم الصلاة والسلام طال به ، ولو طال به لنقل متواترا ، لتوفر الدواعي على نقله ، لشدة شأنه عند أصحابه وتابعيهم ، لكنه لم يطل ، ولم يتعد حال من عقد عن النساء مدة يسيرة فزال ذلك بالقرب"[28]

وأما ما يتعلق – أخيرا- بأن الحديث من الآحاد فالرد على هذا بأنه من المعلوم في أدبيات علماء الحديث وقواعدهم أن الحديث إذا اتفق عليه الشيخان صار له حكم التواتر.

المبحث الثاني: إطعام أم حرام بنت ملحان

1- الحديث عند البخاري

حَدَّثَنَا عَبْدُ اللَّهِ بْنُ يُوسُفَ عَنْ مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ - رضى الله عنه - أَنَّهُ سَمِعَهُ يَقُولُ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ ، فَتُطْعِمُهُ ، وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه

[27] ابن حجر العسقلاني، حمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، د ار المعرفة - بيروت، 1379، 226/10.

[28] الشنقيطي، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم،224/4- 225.

وسلم - فَأَطْعَمَتْهُ وَجَعَلَتْ تَفْلِي رَأْسَهُ ، فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ . قَالَتْ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَيَّ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ، مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ، أَوْ مِثْلُ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ». شَكَّ إِسْحَاقُ. قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعلني مِنْهُمْ. فَدَعَا لَهَا رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ فَقُلْتُ وَمَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَيَّ، غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ». كَمَا قَالَ فِي الأَوَّلِ. قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعلني مِنْهُمْ. قَالَ «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ». فَرَكِبَتِ الْبَحْرَ فِي زَمَانِ مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِى سُفْيَانَ، فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ، فَهَلَكَتْ.[29]

2- الحديث عند مسلم

حَدَّثَنَا يَحْيَى بْنُ يَحْيَى قَالَ قَرَأْتُ عَلَى مَالِكٍ عَنْ إِسْحَاقَ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِى طَلْحَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أُمِّ حَرَامٍ بِنْتِ مِلْحَانَ فَتُطْعِمُهُ وَكَانَتْ أُمُّ حَرَامٍ تَحْتَ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ فَدَخَلَ عَلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَوْمًا فَأَطْعَمَتْهُ ثُمَّ جَلَسَتْ تَفْلِى رَأْسَهُ فَنَامَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ « نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَرْكَبُونَ ثَبَجَ هَذَا الْبَحْرِ مُلُوكًا عَلَى الأَسِرَّةِ أَوْ مِثْلَ الْمُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ ». يَشُكُّ أَيُّهُمَا قَالَ قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعلني مِنْهُمْ فَدَعَا لَهَا ثُمَّ وَضَعَ رَأْسَهُ فَنَامَ ثُمَّ اسْتَيْقَظَ وَهُوَ يَضْحَكُ قَالَتْ فَقُلْتُ مَا يُضْحِكُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ قَالَ «نَاسٌ مِنْ أُمَّتِى عُرِضُوا عَلَيَّ غُزَاةً فِي سَبِيلِ اللَّهِ». كَمَا قَالَ فِي الأُولَى قَالَتْ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ أَنْ يجعلني مِنْهُمْ قَالَ «أَنْتِ مِنَ الأَوَّلِينَ». فَرَكِبَتْ أُمُّ حَرَامٍ بِنْتُ مِلْحَانَ الْبَحْرَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ فَصُرِعَتْ عَنْ دَابَّتِهَا حِينَ خَرَجَتْ مِنَ الْبَحْرِ فَهَلَكَتْ.[30]

أولا الشبهة الواردة في الحديث

[29] كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء بالجهاد والشهادة للرجال والنساء، رقم الحديث 2636، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، 1407 – 1987، تحقيق: د. مصطفي ديب البغا 1037/3.

[30] كتاب الإمارة، باب فضل الغزو في البحر، رقم الحديث 1912، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 1518/3.

وأمام هاتين الروايتين للحديث يقف المشككون من أصحاب المدرسة العقلية الحديثة منهما موقف التشكيك بحجة أن هذه الأفعال لا يمكن أن تقبل من الناحية العقلية في أنها تصدر عن النبي صلى الله عليه وسلم فيقول أحمد صبحي منصور في مجلة الحوار المتمدن في مقال له بعنوان "لمحة عن الضحك :البخاري في تصويره لضحك النبي محمد عليه السلام":" بغض النظر عن الاختلافات الشكلية في روايات الحديث فإن القارئ يترسب في عقله الباطن الأيمان بفحوى الحديث وخطوطه العامة ، ويؤمن بما يريده له البخاري أن يؤمن به وهو أن النبي كان يدخل على أم حرام فينام عندها في بيتها وتطعمه وتسقيه وتفلى رأسه ، وباقي التفصيلات الأخرى ليست إلا رتوشاً لتسند الموضوع الأساسي وتساعد القارئ على ابتلاعه وهضمه".[31]

فهو هنا يهدم الحديث هدما باتهام البخاري بالاختلاق والكذب ، ثم يتهمه بخبث السريرة وأن له هدفا مقصودا من وراء تلك القصة فيقول:" أي للبخاري هدف مقصود ، وبقية الأحداث هي في خدمة هذا الهدف"[32].
والهدف في ظنه أن البخاري" في موضوع أم حرام بدأ بالهدف وهو دخول النبي على بيت ام حرام في غيبة زوجها ونومه عندها ، ثم اتبع ذلك بقصة طويلة عن المنام والجهاد وركوب البحر ثم موت أم حرام ويستغرق القارئ في تلك التفصيلات والمنامات والتنبؤات بالغيب ، وما حدث لأم حرام ويبتلع منذ البداية ما أراده له البخاري أن يبتلع ، وتصبح القضية والمناقشة محصورة فيما حدث من تفصيلات لأم حرام ، وليس ما تعنيه القصة المزعومة من اتهام فظيع للنبي"[33].

ويورد أحمد صبحي منصور في هذا المقال افتراءات عديدة ضد البخاري، لكنني سأتوقف أمام ما يخص رفضه للرواية لمخالفتها العقل.

لكن قبل الشروع في الرد على هذه الشبهة كان لزاما أن نتفق على بدهيات وهي أن العلماء اتفقوا على تحريم أن يخلو مسلم بأجنبية، كما يجب أن نقرَّ ونذعن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مثال للطهر قد تجسد في رجل، وأنه فاق النبيين في خَلْق وفي خُلُقٍ، بل فاق العالمين في شرف وفي

[31] منصور، أحمد صبحي، "لمحة عن الضحك: البخاري في تصويره لضحك النبي محمد عليه السلام"، مجلة الحوار المتمدن، العدد :6278 2019/07/02. وانظر كتابه لماذا القرآن ص92-94 دون طبعة.

[32] السابق.

[33] السابق.

طُهْرٍ، وقد روت عنه أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها "وما مست كف رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كف امرأة قط" [34]

إننا نعرف قدر نبينا صلى الله عليه وسلم، ونحنُ له فدي ومعه علي الهدى، ولو في سمِّ الخياط أو على مثل حدِّ الصراط.

إننا كثيرا ما نعاني من جهل هؤلاء المدَّعين الذين يمتلكون رصيدا ضخما من هذا الجهل المركب، فعقولهم عاجزة عن إدراك أحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا مراده فهموه، ولا لفظه عقلوه، يخرجون علينا بين الفينة والأخرى يطعنون في البخاري تارة، وفي روايته تارة أخرى بدعوى مخالفة العقل، وليتهم يمتلكون عقلا به يفهمون به حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم لكنهم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون.

إنهم بجهلهم هذا ضلوا وأضلوا، ضلوا حين أساءوا الفهم وتوهموا أن الحديث يفيد خلوة النبي صلى الله عليه وسلم بأم حرام بنت ملحان رضي الله عنها، ثم شرعوا يتقئونه في أذهان العامة من عديمي العلم، وهما في العدمية سواء، ليلبسوا عليهم دينهم الذي ارتضاه الله لهم.

ثانيا الرد على الشبهة

- ✓ **مسلمات ومقدمات:**

ينبغي علينا أن نقف عند عدة مسلمات منطقية وعقلية قبل سرد الردود الشرعية والعقلية على هذه الشبهة ومنها:

1. – في الحديث ما يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم نبوته، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم فيه بقاء أمته من بعده، وستكون لهم قوة وعدد ومنعة، وأنهم سوف يغزون البحر، وأن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها ستحيا إلى أن ترى ذلك، بل وستغزو مع الغازين. – وفي حديث خبر بوفاتها رضي الله عنها في ذلك الغزو، وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ولم يتغير منه شيء.

[34] البخاري، كتاب التفسير، بابٌ إِذَا جَاءَكُمُ المُؤْمِنَاتُ مُهاجِرَاتٍ (1856/4رقم4609)، كتاب الأحكام، باب بيعة النساء(2637/6رقم6788)، ومسلم، كتاب المغازيّ (1489/3رقم1866)، وهذا لفظ مسلم.

2. لقد ائتمن الله رسوله على أمر الوحي، أفلا يأتمنه على أتباعه؟! وإنه بثبوت نبوته قد أصبحت محارم أمته من أماناته، وأنه صلى الله عليه وسلم لثبوت نبوته فقد انعدمت عنده الدوافع لارتكاب السوء، وبهذا الانعدام تنتفي شبهة الشك والريبة فيه صلى الله عليه وسلم.

3. وقياسا على تلك المقدمة المنطقية ونتيجتها حُرِّمت زوجاته على سائر المؤمنين، وما كان هذا التحريم إلا مراعاة لمقام نبوته، ولأجل هذا المقام قد يحل له أمر وقع تحريمه من قبل لانتفاء علة تحريمه مراعاة لمقام النبوة.

4. هم لم يكلفوا أنفسهم عناء البحث في لغة الحديث ليفقهوا مقصودة، ولو فعلوا لفقهوا أن البخاري، رحمه الله، بوَّبَ لهذه القصة تحت "باب من زار قوما فَقَالَ عندهم" وأن قوله " قوما" إنما قصد بها الجماعة من الناس كما هي في لسان العرب حيث يقول ابن منظور في مادة" ق و م": وقَوْمٌ قيل هو اسم للجمع وقيل جمع التهذيب.[35]

5. يقول ابن عبد البر في التمهيد: "والدليل على ذلك - ثم ساق حَدِيث جابر، وعمر بن الخطاب، وابن عباس وعبد الله بن عمرو بن العاص، وعقبة بن عامر في النهي عن الخلوة -وهذه آثار ثابتة بالنهي عن ذلك، ومحال أنْ يأتي رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - ما ينهى عنه"[36] يقصد الدخول على النساء دون محرم.

6. دمغ الشبهة والرد عليها: ويمكن أن أسوق الأدلة والبراهين التالية على فساد الشبهة وباطلها:

7. إن البخاري، رحمه الله، حين عمد إلى رواية هذا الحديث، إنما قصد زيارة رسول الله صلى الله عليه وسلم لجماعة وهم أهل بيت أم حرام رضي الله عنها. فلَيْسَ فِي الْحَدِيث مَا يَدُلّ عَلَى الْخَلْوَة بها فلعل ذاك كَانَ مَعَ وَلَد أَوْ خَادِم أَوْ زَوْج أَوْ تَابِع، والعادةُ تقتضي المخالطة بين الْمَخْدُوم وَأَهْل خَادِم، سيّما إذا كنَّ مسنَّات مع ما ثبت له عليه - صلى الله عليه وسلم - من العصمة.

---

[35] ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، **لسان العرب**، دار صادر – بيروت، مادة "قوم"، 496/12.

[36] ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي ، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد ، تحقيق: مصطفي بن أحمد العلوى و محمد عبد الكبير البكري ، مؤسسة قرطبة ، 228/1.

8. كما أن هؤلاء جهلوا أن البخاري - رحمه الله - روى هذا الحديث عن أنس بن مالك، وأن أم سليم هي أمه، وفي الوقت ذاته هي أخت لأم حرام بنت ملحان، رضي الله عنهم جميعا، وأنه يظهر من ذلك أن البيت لم يكن خاليا من أحد سوى أم حرام، فقد كان هناك أنس وأمه أم سليم، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهب لزيارة خادمه إكراما له ورفعا لشأنه، وزاد في ذلك أن أكل طعامهم وصلى بهم إيثارا لهم دون غيرهم لتكون منقبة من مناقبهم. وقد ورد في المسند عن أنس:" وقد ورد في المسند عن أنس "أن رسول الله صلى في بيت أم سليم، وأم سليم، وأم حرام خلفنا، ولا أعلمه إلا قال: أقامني عن يمينه" فلا غضاضة أن يقيل النبي عندهم وهو الذي أكل طعامهم وصلى بهم.

9. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يملك إربه عن زوجاته، فإذا كان قادرا على ذلك مع زوجاته فهو على غيرهن أقدر!

10. وتتلاشى هذه الشبهة حين نقرأ قول الإمام النووي في شرحه صحيح مسلم باب فضائل أم سليم أم أنس بن مالك وبلال رضي الله عنهما :" كَانَ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَا يَدْخُلُ عَلَى أَحَدٍ مِنْ النِّسَاء إِلَّا عَلَى أَزْوَاجه إِلَّا أُمّ سُلَيْمٍ , فَإِنَّهُ كَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهَا , فَقِيلَ لَهُ فِي ذَلِكَ , فَقَالَ: إِنِّي أَرْحَمُهَا قُتِلَ أَخُوهَا مَعِي) قَدْ قَدَّمْنَا فِي كِتَاب الْجِهَاد عِنْد ذِكْر أُمّ حَرَام أُخْت أُمّ سُلَيْمٍ أَنَّهُمَا كَانَتَا خَالَتَيْنِ لِرَسُولِ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَحْرَمَيْنِ إِمَّا مِنْ الرَّضَاع , وَإِمَّا مِنْ النَّسَب , فَتَحِلُّ لَهُ الْخَلْوَة بِهِمَا , وَكَانَ يَدْخُلُ عَلَيْهِمَا خَاصَّةً , لَا يَدْخُلُ عَلَى غَيْرهمَا مِنْ النِّسَاء إِلَّا أَزْوَاجه. قَالَ الْعُلَمَاء :فَفِيهِ جَوَاز دُخُول الْمَحْرَم عَلَى مَحْرَمه، وَفِيهِ إِشَارَة إِلَى مَنْع دُخُول الرَّجُل إِلَى الْأَجْنَبِيَّة. وَإِنْ كَانَ صَالِحًا، وَقَدْ تَقَدَّمَتْ الْأَحَادِيث الصَّحِيحَة الْمَشْهُورَة فِي تَحْرِيم الْخَلْوَة بِالْأَجْنَبِيَّةِ. قَالَ الْعُلَمَاء: أَرَادَ اِمْتِنَاع الْأُمَّة مِنْ الدُّخُول عَلَى الْأَجْنَبِيَّات"[37] فهما خالتاه من الرضاعة كما في تهذيب السماء:" كَانَتْ أُمّ سُلَيْمٍ أُخت آمِنَة بِنْت وَهْب أُمّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرَّضَاعَة"، قَالَ ابنُ حَجَر:" وَجَزَمَ أَبُو الْقَاسِم بْن الْجَوْهَرِيّ والدَاوُدِيُّ وَالْمُهَلَّب فِيمَا حَكَاهُ اِبْن بَطَّال عَنْهُ بِمَا قَالَ اِبْن وَهْب قَالَ: وَقَالَ غَيْره إِنَّمَا كَانَتْ خَالَة لِأَبِيهِ أَوْ جَدّه عَبْد الْمُطَّلِبِ , وَقَالَ اِبْن الْجَوْزِيّ سَمِعْت بَعْض الْحُفَّاظ يَقُول:

[37] النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1392ه، 10/16.

كَانَتْ أُمّ سُلَيْمٍ أُخْت آمِنَة بِنْت وَهْب أُمّ رَسُول اللَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ الرَّضَاعَة"[38]. وفي الحديث جواز دخول المحرم على محرمه.

11. ويورد صاحب كتاب "رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء الكتاب والسنة" دفاعا عن هذه الرواية التي رواها الشيخان، ودحضا لهذه الشبهة التي ادعاها أحمد صبحي منصور فيقول: "وسبب آخر لإكرام الرسول، أهل هذا البيت بالزيارة، مع أن غيرهم كثير ممن يود أن يتشرف بالرسول في مثل هذه الزيارة. لقد استشهد أخوهما في سبيل الله، فكان رسول الله يواسيهما معاً بهذه الزيارة، حيث أنهما كانتا في دار واحدة كل واحدة منهما في غرفة من تلك الدار. فعن أنس بن مالك رضى الله عنه "أن النبي، لم يكن يدخل بيتاً بالمدينة، غير بيت أم سليم، إلا على أزواجه، فقيل له، فقال: إني أرحمها؛ قتل أخوها معي" يعنى حرام بن ملحان وكان قد قتل يوم بئر معونة"[39]ولا شك في أن زيارته لبيت أم حرام كان من قبيل الرحمة بها إذ استشهد أخوها حرام بن ملحان أليس هو القائل صلى الله عليه وسلم:" ومن خلف غازيا في سبيل الله بخير فقد غزا"[40]

12. ويضيف الدكتور عماد الشربيني ملمحا آخر في هذا الحديث فيقول:" وفضلاً عما سبق، فقد غنم المسلمون من هذه الزيارة علماً من أعلام النبوة، في أخبار الرسول صلى الله عليه وسلم، عما سيكون قبل وقوعه، حيث أراه الله له، وإخباره أم حرام بأنها من الأولين ركاب السفن الغازية. وتحقق ما أخبر به من ركوبها وغزوها ثم استشهادها الذي حال بينها وبين أن تكون من أهل السنن الغازية التي تلت ذلك، ورآها الرسول صلى الله عليه وسلم.

13. إن شبهة انفراد رسول الله صلى الله عليه وسلم بأم حرام أو أم سليم بما سبق من أدلة أصبحت لا أساس لها من الصحة، ولا تقوم على دليل واحد، ولا أدري كيف توهم أحمد صبحي منصور فجزم بأن الحديث يخالف العقل إذ يؤكد خلوة النبي صلى الله عليه وسلم بأحدهما أو بهما

---

[38] ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، دار المعرفة - بيروت، 1379، 78/11.

[39] الشربيني، عماد السيد، **رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء الكتاب والسنة**، قدم له عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مطابع دار الصحيفة، 1424هـ، 2003م.ص476 وما بعدها.

[40] البخاري، كتاب الجهاد، باب فضل من جهز غازيا أو خلفه بخير.58/6

معا! فأين كان أنس رضي الله عنه راوي الحديث حين نقل لنا هذا المشهد؟ هل رآه تخيلا أم حقيقة؟ والرؤية تتطلب اجتماعه معهم.

14. لقد تعامى صبحي منصور عن قدر النبي صلى الله عليه وسلم حين غاب عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن يمشي بضع خطوات إلا ويتبعه صحابي أو جمع من الصحابة استئناسا به وطمعا فيما عنده من البركة ، ونيل شرف الصحبة له ، فكيف إذا كان مسيره في أهل قباء ، المنزل الأول له في المدينة ، ومجمع ديار أخواله ، ولا مناص من أن يلقاه أحدهم ، أو بعضهم فيذهب معه حيث دار أم حرام ؛ لتصبح الدار دارا لاستقبال الوافدين الراغبين في سؤاله أو رؤيته صلى الله عليه وسلم.

15. وفيما يتعلق بالأدلة العقلية للرد على هذه الشبهة فإننا نستطيع أن نستنتج من خلال ما صح من الأحاديث أن الخلوة بالأجنبية حرام بنص الحديث، وأنه لا خصوصية للنبي في هذا الأمر، ولو لم تكن أم حرام محرما له صلى الله عليه وسلم لكان الحديث الذي بين أيدينا دعوة صريحة لجواز الخلوة بالأجنبية، فلولم تكن أم حرام محرما ما خلا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإلا لقال بجواز الخلوة أصحابه من بعده ومعهم راوي الحديث أنس بن مالك.

16. ثم لنا أن نتخيل موقف المنافقين والمشركين واليهود المتربصين بالنبي صلى الله عليه وسلم تجاه هذا الأمر، فهم لن يتركوا شاردة أو واردة تطعن في أمانة النبي صلى الله عليه وسلم إلا أثاروها، لكنهم في هذا الموقف لم يفعلوا شيئا، فلم يُشهِّروا بأم حرام ولا أم سليم كما كان حالهم مع عائشة رضي الله عنها.

17. إن المسلمين مأمورون بحسن الظن كما حدث يوم الإفك "لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ" "وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ" [41] وعائشة وصفوان رضي الله عنهما صحابيان جليلان؛ لكن يقصر مقامهما عن مقام النبي صلى الله عليه وسلم، فالمحرمية دليل على ثبوت حسن الظن الذي هو دليل على لزوم ثبوت المحرمية.

[41] - النور، الآيتان 12، 16.

18. القول بالمحرمية له وجاهة عن القول بالخصوصية وهو المقدم عند السلف، ومما يقوي ذلك ما فعلته أم حرام من تفلية رأس النبي صلى الله عليه وسلم وما يعنيه ذلك من جرأة على النبي صلى الله عليه وسلم لا يسوغ فعلها إلا المحرمية، وفي الحديث الذي رواه البخاري:" كان النبي صلى الله عليه وسلم في المسجد وعنده أزواجه فرحن فقال لصفية بنت حيي (لا تعجلي حتى أنصرف معك). وكان بيتها في دار أسامة فخرج النبي صلى الله عليه وسلم معها فلقيه رجلان من الأنصار فنظرا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ثم أجازا وقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم "تعاليا إنها صفية بنت حيي". قالا سبحان الله يا رسول الله قال "إن الشيطان يجري من الإنسان مجرى الدم وإني خشيت أن يلقي في أنفسكما شيئا"[42] فلو كان نت الخلوة بالأجنبية خصيصة اختص بها النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر إليه الرجلان، ولما حرص النبي صلى الله عليه وسلم على قطع الطريق أمام الشيطان بالوسوسة إليهما بالشك والارتياب.

19. وثمة أمر آخر يفرضه العقل، وهو يتعلق بزوجات النبي صلى الله عليه وسلم فلم يذكر أن اعترضت إحداهن على رواية انس لهذا الحديث أو أنكرتها، حتى من باب الغيرة على النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا يعني أنهن كن على يقين من هذه المحرمية التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وأم حرام رضي الله عنها.

20. إن هذه القرابة التي كانت بين النبي صلى الله عليه وسلم وأم حرام قد تكون خفية غير معلومة، وخفاؤها لا يعني كونها معدومة، فقد يجهل الرجل أقاربه من النسب، فكيف بالأقارب من الرضاع؟!

21. إن امتناع النبي صلى الله عليه وسلم عن مصافحة النساء في البيعة دليل على عدم جواز الخلوة، إذ كيف يمتنع عن المصافحة ثم يجيز الخلوة؟ فيستدل على امتناع الخلوة بامتناع ما هو أقل منها وهو المصافحة.

22. وإننا إذا نظرنا إلى المحرمية في الحديث نجد أن نفيها وعدم نفيها سواء، فإذا كان هناك نص آخر يحرم الخلوة، فقد وجب القطع بالمحرمية؛ لأننا سنكون أمام احتمالين لا ثالث لهما:

- الأول: أن النبي ليس صادقا، ومع هذا الاحتمال تسقط الرسالة كلها بما فيها الحديث.

[42] البخاري، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه، 717/2، رقم .1933

- الثاني: صدقه، وهو ثابت ومتيقن، ونهيه عن الخلوة بالأجنبية إلا لمحرم، وهو ليس مستثنى من هذا الحكم، فهذا يدل على أنه محرم على أم حرام لقوله بتحريم الخلوة، فإذا خلا بأم حرام مع نهيه عن الخلوة فقد جمع بين النقيضين وهذا ممتنع في حقه صلى الله عليه وسلم "وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ"[43].فإثبات الخلوة متضمن لإثبات المحرومية. وهذا هو المعتبر عند التوفيق بين الأدلة السابقة.

المبحث الثالث: خروج موسى عُريانا

1- الحديث عند البخاري

حَدَّثَنَا إِسْحَاقُ بْنُ نَصْرٍ قَالَ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ عَنْ مَعْمَرٍ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ عَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ عَنِ النبي – صلى الله عليه وسلم – قَالَ " كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً ، يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ ، وَكَانَ مُوسَى يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ ، فَقَالُوا وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلاَّ أَنَّهُ آدَرُ ، فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ ، فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ ، فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ ، فَخَرَجَ مُوسَى فِي إِثْرِهِ يَقُولُ ثوبي يَا حَجَرُ . حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى مُوسَى، فَقَالُوا وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ. وَأَخَذَ ثَوْبَهُ، فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا ". فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُ لَنَدَبٌ بِالْحَجَرِ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبًا بِالْحَجَرِ.[44]

2. الحديث عند مسلم

حدثني مُحَمَّدُ بْنُ رَافِعٍ حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّزَّاقِ أَخْبَرَنَا مَعْمَرٌ عَنْ هَمَّامِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ هَذَا مَا حَدَّثَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– " كَانَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ يَغْتَسِلُونَ عُرَاةً يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَى سَوْأَةِ بَعْضٍ وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ يَغْتَسِلُ وَحْدَهُ فَقَالُوا وَاللهِ مَا يَمْنَعُ مُوسَى أَنْ يَغْتَسِلَ مَعَنَا إِلاَّ أَنَّهُ آدَرُ. قَالَ فَذَهَبَ مَرَّةً يَغْتَسِلُ فَوَضَعَ ثَوْبَهُ عَلَى حَجَرٍ فَفَرَّ الْحَجَرُ بِثَوْبِهِ – قَالَ – فَجَمَحَ مُوسَى بِأَثَرِهِ يَقُولُ ثوبي حَجَرُ ثوبي حَجَرُ. حَتَّى نَظَرَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِلَى سَوْأَةِ مُوسَى فَقَالُوا وَاللهِ مَا بِمُوسَى مِنْ بَأْسٍ. فَقَامَ الْحَجَرُ بَعْدُ حَتَّى نُظِرَ إِلَيْهِ – قَالَ – فَأَخَذَ

---

[43] هود، الآية:88.

[44] كتاب الغسل، باب باب من اغتسل عريانا وحده في الخلوة ومن تستر فالتستر أفضل، رقم الحديث 274، دار ابن كثير، الطبعة الثالثة، 1407ه، 1987م، تحقيق: د. مصطفي ديب البغا اليمامة، بيروت 107/1.

ثَوْبَهُ فَطَفِقَ بِالْحَجَرِ ضَرْبًا ". قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ وَاللَّهِ إِنَّهُ بِالْحَجَرِ نَدَبٌ سِتَّةٌ أَوْ سَبْعَةٌ ضَرْبُ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِالْحَجَرِ.[45]

أولا الشبهة الواردة في الحديث

ينكر كثير من الناس هذه الرواية بحجة مخالفتها للعقل، كما فعل أبو قرناس حين قال إنها رواية لا مغزى لها ولا معنى.[46] وقد أثيرت أسئلة كثيرة في مواقع الإنترنت، وشبكات التواصل الاجتماعي حول هذا الحديث، واشتد إنكارها من بعض المسلمين وغير المسلمين، والرافضة، ففي الحديث ما يعيب نبي الله موسى عليه السلام، وكيف ينظر بنو إسرائيل إلى سوءته، فهذا غير مقبول عقليا ولا منطقيا-بحد زعمهم-.

ونحن هنا بصدد رفض عقلي لهذا الحديث يتمثل في أن إيذاء بني إسرائيل لموسى كان معنويا وليس جسديا فقد اتهموه بالسحر، ثم مع فرضية التسليم بأن الإيذاء كان جسديا لا يقبل أن يكون بهذه الطريقة التي لا تليق بنبي من أنبياء الله ومن أولي العزم من الرسل، وهل يعقل أن يخرج موسى على قومه دون ثياب؟ وكيف لحجر أصم أن يتأثر بضربات موسى –عليه السلام- ولا نكاد نرى لذلك الضرب أثرا، ونحن نحتاج للتأثير فيها إلى آلات ومعدات عليها العصبة أولو القوة من الرجال، فأي عقل يمكنه تصديق هذا؟!

ثانيا الرد على الشبهة

أتى هذا الحديث تبرئة لنبي الله موسى، عليه السلام، من افتراءات بني إسرائيل عنه وفيه، وبما رموه به. والحقيقة أن القرآن الكريم قد رصد في آيات كثيرة علاقة بني إسرائيل بنبي الله موسى، التي غلب عليها الإيذاء المتعمد من قبلهم لموسى، عليه السلام، ومقابلة هذا الإيذاء بالحلم تارة، وبالشكوى من أفعالهم تارة أخرى من لدن موسى، عليه السلام، قال تعالى:" وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ..."[47].

---

[45] صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل موسى صلى الله عليه وسلم، رقم الحديث 150، دار إحياء التراث العربي، بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 1840/4.

[46] أبو قرناس، الحديث والقرآن، ص42.

[47] الصف، الآية:5

لقد لاقى نبي الله موسى عليه السلام، من قومه صنوفا شتى من الإيذاء الجسدي والدعوي، أو كما يقول دكتور محمد عبد القادر:"نعم، إن صور الإيذاء التي تعرض لها رسول الله موسى، عليه السلام، كثيرة، منها ما هو جسمي ومنها ما هو دعوي، ومنها ما هو متعلق بالعقيدة، ومنها ما هو متعلق بالشريعة، ومنها ما هو متعلق بالسلوك".[48]

ونحن هنا بإزاء الحديث عن بني إسرائيل وهم قوم مطل، كثيرو الجدل، لا يقتنعون إلا بالماديات والمحسوسات، لا مجال لديهم للروحانيات والغيبيات، ولقد رسمت سورة البقرة باستفاضة معالم تلك الشخصية اليهودية العجيبة في أطوارها، فقد نجاهم الله من فرعون وبطشه ثم اتخذوا العجل من بعد ذلك وهم ظالمون، ويذكر القرآن الكريم من خلال سرد أوصافهم في سورة البقرة إيمانهم بالماديات المحسوسة لا بالغيبيات حتى ولو كانت المتعلقة بذات الله سبحانه وتعالى، فقد جعلوا رؤيته جهرا شرطا للإيمان به:" وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةً"[49].فإذا كان هذا حالهم مع الله الخالق، فكيف الحال مع نبيه المخلوق؟!

بهذا التصور في انعدام التصديق بالغيب، وسيطرة النزعة المادية تبرز لنا تلك الشخصية اليهودية التي لم تجد حرجا في اتهام نبي الله موسى بذلك الاتهام بأنه "آدر" وتلك فِرية، إن وجدت، لا تمثل أي انتقاص من نبي الله موسى عليه السلام.

وتأسيسا على ما قدمه القرآن عن معالم الشخصية اليهودية التي تتخذ من الماديات منهجا لتلقي أمر السماء، جاء دفاع الله عز وجل عن نبيه موسى عليه السلام وقد اخترق نواميس الكون، وتعدى المألوف من العادات وإلى هذا يشير فضيلة الدكتور طه حبيشي فيقول: "وعلى هذا فإن دفاع الله –عز وجل- عن موسى عليه السلام- قد خرج على طريقة خرق العادة، تماما كالعديد من خوارق العادات التي صاحبت نبوة موسى، عليه السلام، لتكون بينة كبرى تنضم إلى جميع البينات التي تثبت أن موسى إنما اصطنعه ربه لنفسه، وصنعه على عينه، فالله، سبحانه وتعالى، الذي جعل النار بردا وسلاما على إبراهيم، عليه السلام، والجبال تؤوب مع داود، عليه السلام، وألان له الحديد، هو الذي أمر الحجر بأن يفر بملابس موسى، عليه السلام، ليرد عنه أذى قومه، وحكمته في ذلك، سبحانه وتعالى، أن بني إسرائيل مجتمع مادي، لا يصدق إلا ما يراه عيانا بيانا، فالله، سبحانه وتعالى، بعد ما

[48] أبو فارس، محمد عبد القادر، شغب اليهود على الأنبياء، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1998م، ص79.
[49] - البقرة، آية:55

نجاهم من فرعون، وأظهر لهم دلائل نبوة موسى، عليه السلام، بنصره على السحرة، وشق لهم في البحر طريقا يبسا بين جبلين من الماء مع احتفاظ الماء بسيولته، وفجر لهم من الحجر اثنتا عشرة عينا على عدد بطون بني إسرائيل ، بعد كل هذه الآيات والمعجزات قالوا: لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة، فهل يعقل أن قوما كهؤلاء يمكن أن يقتنعوا برؤية منامية،مثلا، على براءة موسى"[50] .

ولما كان من حرص الله، عز وجل، على حفظ أنبيائه ورسله من مكر أقوامهم، وكيد أعدائهم، فقد سخر لموسى الحجر ليأخذ ثوبه وهو يغتسل حتى يصل به إلى قومه على هذه الحال، دون الاكتراث بإلحاح موسى في الطلب بالتوقف، حتى رآه قومه عريانا، وهنا أصبح أمر براءة موسى آكدا، وأنه ليس "آدر" كما كانوا يزعمون.

وهذا الدفاع قد خر النواميس الكونية، وتجاوز المعروف والمألوف؛ ليتناسب وطبيعة أكثر شخصية جدلية عرفها التاريخ الإنساني في ظل الرسائل السماوية، ألا وهي الشخصية اليهودية، ولو أن هناك وسيلة ناجعة غير تلك التي وقعت لجعلها الله دليلا وعلامة على سلامة نبيه موسى عليه السلام.

وأما ما يتعلق بحديث موسى، عليه السلام، إلى الحجر، ووصف ذلك بأنه يخالف العقل الصحيح، والمنطق السليم، وفي هذا الوصف ما يجافي الإيمان، وينافي التسليم بما خص الله به أنبياءه من معجزات منها الحديث إلى الحجر، ومن ذلك ما رواه الإمام مسلم من حديث جابر بن سمرة- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ‘‘إني لأعرف حجرا بمكة كان يسلم عليَّ قبل أن أبعث، إني لأعرفه الآن"[51] ففي الحديث ما يدل على أن هناك معجزات يجريها الله لأنبيائه لإثبات نبوتهم، وصدق رسالتهم.

المبحث الرابع: شبهة مباشرة المرأة وهي حائض

1- الحديث عند البخاري

[50] حبيشي ضلالات منكري السنة، مطبعة رشوان، القاهرة، ط2، 1427ه، 2006م، ص 388.
[51] صحيح مسلم (بشرح النووي)، كتاب الفضائل، باب: فضل نسب النبي صلى الله عليه وسلم وتسليم الحجر عليه قبل النبوة. (3410/8) رقم (5829).

حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ بْنُ خَلِيلٍ قَالَ أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ قَالَ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ - هُوَ الشيباني - عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَتْ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا، فَأَرَادَ رَسُولُ اللَّهِ - صلى الله عليه وسلم - أَنْ يُبَاشِرَهَا، أَمَرَهَا أَنْ تَتَّزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا. قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ النبي - صلى الله عليه وسلم - يَمْلِكُ إِرْبَهُ. تَابَعَهُ خَالِدٌ وَجَرِيرٌ عَنِ الشيباني".[52]

2- الحديث عند مسلم

حَدَّثَنَا أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِى شَيْبَةَ حَدَّثَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ عَنِ الشيباني ح وحدثني عَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ السَّعْدِيُّ - وَاللَّفْظُ لَهُ - أَخْبَرَنَا عَلِيُّ بْنُ مُسْهِرٍ أَخْبَرَنَا أَبُو إِسْحَاقَ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الأَسْوَدِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ كَانَ إِحْدَانَا إِذَا كَانَتْ حَائِضًا أَمَرَهَا رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- أَنْ تَأْتَزِرَ فِي فَوْرِ حَيْضَتِهَا ثُمَّ يُبَاشِرُهَا. قَالَتْ وَأَيُّكُمْ يَمْلِكُ إِرْبَهُ كَمَا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- يَمْلِكُ إِرْبَهُ.[53]

الشبهة الواردة في الحديث

أثار أتباع المذهب العقلي وغيرهم شبهة حول هذه الرواية الواردة في الصحيحين، ومن هؤلاء أبو قرناس حيث أوردها في كتابه تحت عنوان: "زير نساء لا يقارن" مستهلا رفضه بقوله: "كتاب الحيض كسابقه كتاب الغسل يحتوي على تفاصيل ليس فيها تشريعات إلهية، ولا خدمة للدين، بل وبعيدة كل البعد عن الآداب الإسلامية"[54]

ويواصل رفضه لهذه الرواية التي تقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يباشر نساءه في فور حيضهن، بعد أن يأتزرن، وأن هذا يعني قضاء رسول الله صلى الله عليه وسلم وطره من زوجه الحائض، عن طريق الاحتكاك بملابسها! ثم يطرح سؤالا: هل في هذا تشريع أم أنه تقريع للرسول لا يليق؟!

---

[52] صحيح البخاري كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض، رقم الحديث 296، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، 1407 – 1987، تحقيق: د. مصطفي ديب البغا 115/1.

[53] صحيح مسلم كتاب الحيض، باب مباشرة الحائض فوق الإزار، رقم الحديث 293، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، 242/1.

[54] أبو قرناس، الحديث والقرآن، ص314.

ولم يكتف أبو قرناس بالوقوف أمام هذه الرواية بالطعن فيها، لكنه راح يطعن في رواية أخرى رواها أنس بن مالك قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم يدور على نسائه في الساعة الواحدة من الليل والنهار وهن إحدى عشرة. قال قلت لأنس أو كان يطيقه؟ قال كنا نتحدث أنه أعطي قوة ثلاثين"[55]

ثم يتساءل مستنكرا مغلبا العقل على النقل فيقول: "ترى لو صدقنا هذا القصص عن الرسول، فهل لنا أن نتصور كيف سيكون حاله عليه، لو لم يكن يستطيع السيطرة على إربه؟[56]

وفي جهة أخرى يتتبع أحمد صبحي منصور سنن أبي قرناس فيقول في كتابه: "القرآن وكفي" فينكر الرواية شكلا وموضوعا، بل يتهم البخاري بأن الرواية من وضعه هو، وأنه "أسند الروايات لأمهات المؤمنين ليجعلهن شهودا على أن النبي كان يباشرهن وهن حائضات"[57] كما يتهم البخاري بأنه وضع رواية على لسان عائشة رضي الله عنها إشارة إلى خصوصية النبي في مقدرته الجنسية فيزعم أن عائشة قالت: "وأيكم يملك إربه كما كان النبي يملك إربه".[58]

وعلى نهج أبي قرناس في الإشارة إلى روايات أخرى متصلة بهذه الرواية ليقوي بها ادعاءه فيقول صبحي منصور: "وفي رواية أخرى يجعل البخاري من النبي ملازما للنساء لا يفترق عنهن حتى في المحيض، فيروي حديثا ينسبه لأم سلمه" بينما أنا مع النبي مضطجعة في خميلة إذ حضت فانسللت فأخذت ثياب حيضتي قال: أنفست؟ قلت: نعم. فدعاني فاضطجعت معه في الخميلة"[59] وهكذا أصبح لا عمل أمام النبي، ولا مسؤوليات ملقاة على عاتقه إلا أن يجلس في الخميلة مع وزوجاته حتى في المحيض".[60]

[55] صحيح البخاري، كتاب الغسل، باب إذا جامع ثم عاد، ومن دار على نسائه في غسل واحد، رقم (265)
[56] أبو قرناس، الحديث والقرآن، ص315.
[57] أحمد صبحي منصور، القرآن وكفي، ص50.
[58] السابق.
[59] صحيح البخاري، كتاب الحيض، باب من سمى النفاس حيضا، رقم الحديث (294).
[60] السابق51.

ويستمر صبحي في تكذيبه للرواية فيقول: ''بل هناك أكثر من ذلك، يدعي البخاري أن عائشة قالت: ''كان النبي يتكئ في حجري وأنا حائض ثم يقرأ القرآن"[61] وهكذا ضاقت كل الأماكن ولم تعد هناك مساجد ولا قيام لليل مع طائفة من الذين آمنوا. حتى يلجأ النبي إلى ذلك في زعم البخاري"[62]

وبعد، فتعد هذه أبرز الادعاءات التي ادعاها كل من أبي قرناس، وأحمد صبحي منصور.. وسوف أتناول في السطور التالية الرد على هذه الشبهة بإذن الله تعالى.

ثانيا: الرد على الشبهة

بادئ ذي بدء لابد وأن نقرر أمر بدهيا وهو أمانة الإمامين البخاري ومسلم في نقلهما حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثمة أمر آخر أن هذه الروايات مثار الشبهة هي متعلقة ببيان أحكام شرعية متعلقة بالمرأة حال حيضتها، فقد قال الله عز وجل :"وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ (222) نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ (223)"[63]

ولا يمكن أن يُتصورَ أن يُؤمر النبي صلى الله عليه وسلم ومعه المؤمنون باعتزال النساء في المحيض، ثم يخالف هذا –حاشاه- صلى الله عليه وسلم ؛فليس في الحديث ما ينص على الجماع بحالته المعلومة، كما أن مثل هذه الأحاديث تعد وسيلة من وسائل بيان شرائع الله لعباده، وهذا ولا شك من عمل النبي صلى الله عليه وسلم، فهو صلى الله عليه وسلم المخاطب بقوله تعالى: ''بالبينات وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ"[64] ومن هنا فليس ثمة ما يَشين أو يعيب النبي صلى الله عليه وسلم، كما أنه ليس هناك تعارض بين القرآن والحديث في هذا.

ومما ينبغي الانتباه إليه هو ضرورة فهم دلالة لفظ ''الاعتزال"، هل المراد منه أن تنزوي المرأة الحائض في إحدى زوايا بيتها، لا يؤاكلها ولا يشاربها ولا يحادثها زوجها، كأن بها جربا، أو عدوى؟ تعالى الإسلام والشرع الحنيف عن هذا علوا كبيرا!

---

[61] صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب الماهر بالقرآن مع السفرة، رقم (7110).

[62] أحمد صبحي منصور، القرآن وكفي، ص51.

[63] البقرة: آية:222، 223

[64] النحل: أية :44

إن الإسلام وشريعته قد نظرا إلى الإنسان نظرة شاملة لكافة جوانب حياته النفسية والاجتماعية، والصحية وغيرها فجاءت التشريعات والأحكام متسقة مع هذا التكوين الإنساني، والمرأة مخلوق إنساني رقيق، تفيء إلى ظل ظليل من العاطفة والإحساس الفطري، وتأوي إلى رصيد ضخم فياض من المشاعر، الأمر الذي يجعل نفسيتها حال حيضتها متأثرة نفسيا بعض الشيء، والتجارب الحياتية شاهدات على هذا، فكم من امرأة ضاق بها نفسها فترة حيضها، ولكن هذا لم يمنعها من أن تؤاكل وتشارب وتحادث زوجها، فكيف سيكون حالها وقد عزلت أو اعتُزِلت إجباريا لا اختياريا، دون أدنى جريرة اقترفتها؟ ثم تزيد المأساة حين يكون الاعتزال بأمر شرعي وبنص قرآني!

لقد جاء الحديث ليبين أن الأمر كيس كذلك، فالزوج الحائض لها كل شيء مع زوجها عدا الجماع، فهي تمارس حياتها بكل أريحية دون أن تضطر لأن تتخذ مكانا شرقيا من زوجها وأهلها. ولهذا سارع الصحابة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسألونه عن موقف الإسلام من هذا، مما يشعر بأن لديهم خلفية مسبقة ولعل الإسلام يخالفها فعن أَنَسٍ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا إِذَا حَاضَتِ الْمَرْأَةُ فِيهِمْ لَمْ يُؤَاكِلُوهَا وَلَمْ يُجَامِعُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ فَسَأَلَ أَصْحَابُ النبي -صلى الله عليه وسلم- النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ) إِلَى آخِرِ الآيَةِ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم "اصْنَعُوا كُلَّ شَيْءٍ إِلاَّ النِّكَاحَ ". فَبَلَغَ ذَلِكَ الْيَهُودَ فَقَالُوا مَا يُرِيدُ هَذَا الرَّجُلُ أَنْ يَدَعَ مِنْ أَمْرِنَا شَيْئًا إِلاَّ خَالَفَنَا فِيهِ فَجَاءَ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ فَقَالاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ إِنَّ الْيَهُودَ تَقُولُ كَذَا وَكَذَا. فَلاَ نُجَامِعُهُنَّ فَتَغَيَّرَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ -صلى الله عليه وسلم- حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ قَدْ وَجَدَ عَلَيْهِمَا فَخَرَجَا فَاسْتَقْبَلَهُمَا هَدِيَّةٌ مِنْ لَبَنٍ إِلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- فَأَرْسَلَ فِي آثَارِهِمَا فَسَقَاهُمَا فَعَرَفَا أَنْ لَمْ يَجِدْ عَلَيْهِمَا.

فتأمل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم: ‟اصنعوا كل شيء إلا النكاح" إنها كلمة جامعة جاءت جوابا عن موقف اليهود من المرأة الحائض وجاءت تفسيرا وبيانا لقول رب العزة " فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ" فهو تفسير لقوله" فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ"

النتائج

تمكن البحث من الوصول إلى عدة نتائج منها:

1- العقلانيون وأذنابهم يخوضون ضد الإسلام وفي القلب منه السنة المطهرة حربا ضروسا ممتدة منذ المعتزلة وحتى اليوم لا هم لهم إلا تشكيك الأمة في ثوابتها.

2- إن نفي السحر عن النبي صلى الله عليه وسلم ليس انتصارا للعقل ولا تنزيها للوحي؛ فالنبي صلى الله عليه وسلم بشر بنص القرآن الكريم غير أنه يوحى إليه قال تعالى:" قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ" [65] فإصابته بالسحر لا يتنافى مع كونه نبيا ورسولا ما دام لم يؤثر في تبليغه رسالة ربه كاملة ليست ناقصة. ولقد أصاب النبي صلى الله عليه وسلم من الإيذاء والمرض ما أصاب غيره من البشر فجرح يوم أحد وكسرت رباعيته وأوذي يوم الطائف، وضُيِّق عليه في مكة حتى اضطر إلى الخروج منها، لكن لم يمنعه ذلك كله من تبليغ مراد ربه من خلقه، ثم إن الدليل ابتداء قام على صدقه صلى الله عليه وسلم مؤيدا بالمعجزات الشاهدات بتصديقه.

3- في الحديث ما يثبت للنبي صلى الله عليه وسلم نبوته، فقد أخبر صلى الله عليه وسلم فيه بقاء أمته من بعده، وستكون لهم قوة وعدد ومنعة، وأنهم سوف يغزون البحر، وأن أم حرام بنت ملحان رضي الله عنها ستحيا إلى أن ترى ذلك، بل وستغزو مع الغازين. - وفي حديث خبر بوفاتها رضي الله عنها في ذلك الغزو، وقد وقع ما أخبر به صلى الله عليه وسلم ولم يتغير منه شيء. ولقد ائتمن الله رسوله على أمر الوحي، أفلا يأتمنه على أتباعه؟! وإنه بثبوت نبوته قد أصبحت محارم أمته من أماناته، وأنه صلى الله عليه وسلم لثبوت نبوته فقد انعدمت عنده الدوافع لارتكاب السوء، وبهذا الانعدام تنتفي شبهة الشك والريبة فيه صلى الله عليه وسلم.

4- بالنظر إلى التصور المادي اليهودي المتمثل في انعدام التصديق بالغيب، وسيطرة النزعة المادية تبرز لنا تلك الشخصية اليهودية التي لم تجد حرجا في اتهام نبي الله موسى بذلك الاتهام بأنه "آدر" وتلك فِرية، إن وجدت، لا تمثل أي انتقاص من نبي الله موسى عليه السلام.

5- إن الإسلام وشريعته قد نظرا إلى الإنسان نظرة شاملة لكافة جوانب حياته النفسية والاجتماعية، والصحية وغيرها فجاءت التشريعات والأحكام متسقة مع هذا التكوين الإنساني، والمرأة مخلوق إنساني رقيق، تفيء إلى ظل ظليل من العاطفة والإحساس الفطري، وتأوي إلى رصيد ضخم فياض من المشاعر، الأمر الذي يجعل نفسيتها حال حيضتها متأثرة نفسيا بعض الشيء، والتجارب الحياتية شاهدات على هذا، فكم من امرأة ضاق بها نفسها فترة حيضها، ولكن هذا لم يمنعها من أن تؤاكل وتشارب وتحادث زوجها، فكيف سيكون حالها وقد عزلت أو اعتُزِلت إجباريا لا اختياريا، دون أدنى جريرة اقترفتها؟ ثم تزيد المأساة حين يكون الاعتزال بأمر شرعي وبنص قرآني!

---

[65] الكهف 110

المصادر والمراجع

ابن القيم الجوزية، محمد بن ابي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين، زاد المعاد في هدي خير العباد، مؤسسة الرسالة، بيروت، مكتبة المنار الإسلامية، الكويت، 1415هـ /1994م.

ابن حجر العسقلاني، حمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، د ار المعرفة - بيروت، 1379.

ابن حجر، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار المعرفة - بيروت، 1379.

ابن عبد البر، أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصطفي بن أحمد العلوي ومحمد عبد الكبير البكري، مؤسسة قرطبة.

ابن قرناس، الحديث والقرآن، منشورات الجمل، بغداد، 2008

ابن منظور، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، لسان العرب، دار صادر – بيروت.

أبو فارس، محمد عبد القادر، شغب اليهود على الأنبياء، دار الفرقان، الأردن، ط1، 1998م.

البخاري، صحيح البخاري، دار ابن كثير، اليمامة – بيروت الطبعة الثالثة، 1407 – 1987، تحقيق: د. مصطفي ديب البغا،

الجصاص، أبو بكر أحمد بن علي الرازي، أحكام القرآن، تحقيق محمد صادق قمحاوي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1405هـ

حبيشي ضلالات منكري السنة، مطبعة رشوان، القاهرة، ط2، 1427ه، 2006م.

سعد المرصفي، حديث السحر في الميزان، مكتبة المنار الإسلامية بالكويت، مؤسسة الريان، بيروت، لبنان 1416هـ/1995م.

الشربيني، عماد السيد، رد شبهات حول عصمة النبي في ضوء الكتاب والسنة، قدم له عبد المهدي عبد القادر عبد الهادي، مطابع دار الصحيفة، 1424هـ، 2003م.

الشنقيطي، محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم، تحقيق محمد السيد عثمان دار الكتب العلمية، محمد علي بيضون. بيروت، لبنان.

الشنقيطي، محمد حبيب الله بن عبد الله بن أحمد، زاد المسلم فيما اتفق عليه البخاري ومسلم.

الطحاينة خالد بن عبد الرحمن، روايات منتقدة في الصحيحين بدعوى مخلفة العقل ـ عرض ونقد، بحث مقدم لمؤتمر الانتصار للصحيحين المنعقد في الفترة من.15.14 /7/2010م بكلية الشريعة بالجامعة الأردنية.

مسلم، صحيح مسلم، دار إحياء التراث العربي – بيروت، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي.

منصور، أحمد صبحي، "لمحة عن الضحك: البخاري في تصويره لضحك النبي محمد عليه السلام"، مجلة الحوار المتمدن، العدد :6278 2019/07/02.

النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري النووي، المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة الثانية، 1392ه.

Hossam Moussa Mohamed Shousha et al, Separation between spouses due to contagious diseases and its evidence. BALAGH - Journal of Islamic and Humanities Studies. Vol. 1 No: 1, 2021.

Mohamed Amine Hocini, et al, Contemporary Trends in Criticism of Companions: An Analytical Descriptive Study. BALAGH - Journal of Islamic and Humanities Studies. Vol. 1 No: 1, 2021.

Naim Hank, The General Pricing Mechanisms at the Islamic Market, international Journal of Specialized Islamic Studies (SIS), Vol 1, No2, 2018.

N. HANK, “the implications of the Islamic Financial Services law on the Islamic finance industry in Malaysia.”, Majmaa, no. 27, Apr. 2019.

Sehil DERŞEVİ, Hatice AYDIN, An Analysis of The Chapter Of Al-Naba' In Terms of The Rhetoric And Its Evaluation In The Qur'anic Exegesis, MUTALAA Karabuk Journal of Islamic Sciences, Vol: 1, İssue: 1/2021.

Sahl DERSHAWI, The Fluency and Eloquence Of The Qur’anic Words And Their Selection Method - The Example Of Chapter Ibrahim, İhya International of Islamic Studies, Vol: 3, İssue: 2/2017.

Khaled Dershwi, Criminalization controls in Islamic criminal jurisprudence. BALAGH - Journal of Islamic and Humanities Studies. Vol. 1 No: 1, 2021.